

أفعال الإنسان

وتأثيرها على النفوس

بقلم: دكتورة رانيا فرح
www.esoteric-lebanon.org

ظل إصرارها على التطبيق الواعي من منطلق المبادئ الإنسانية هو ما يلغي عنصر النسبية من ذهن المرء. أقله في تقييمه لعمله.. أما إن هو تلطى خلف "وهم النسبية" في تقييمه لعمله، بغض الطرف عن حالته الداخلية، مسارعاً إلى إعطاء المبررات التي أدت به إلى إنهاء عمل ناقص أو خاطئ يكون بذلك يمارس خايلاً من نوع جديد.. فلا يقرأ النفس إلا أخرى أوعى منها.. ولا أحد يستطيع أن يقنع المرء بحقيقة نفسه غير نفسه..

وهذا ما يشرحه كتاب "مئة يوم مع معلم حكيم": لا تنتق من القوانين الأرضية ما يمكنك أن تصنع منه درعاً تخبئ خلفه وتدافع به عن ضعفك. فما الدروع إلا لن يخشى المواجهة ولن يهاب تحدي المصير! النسبية قانون مادي، ولا تنسى أنكم في هذا المعبد تتعلمون كيف ترتفعون عن القيود المادية والأثقال الأرضية.. ابق بعيداً ما استطعت عن النسبية، تقترب من الكمال في كل عمل.. فأنت حين تبحث عن شيء موحد، أو حل مشترك يناسب جميع الأطراف على حد سواء، تكون قد ارتفعت عن النسبية ودنوت من الحكمة.. الحكمة التطبيقية. والحكمة التطبيقية هي إحدى ركائز الكمال.. النسبية قانون يسري على البشر في وعيهم الحالي. لكنه لن يسري على إنسان المستقبل.. نعم، إن ما تقدم يتطلب أكثر ما يتطلب "نظافة داخلية"، قائمة على قاعدة النقاء والصفاء والصدق والوفاء والإخلاص في النفس.. وأخيراً نقول.. ألا تبتدع يا إنسان وتبحث عن طرق تخرجك من متاهات النفس بإقدام وشجاعة وسرعة تجعل منك إنساناً متفوقاً، تتكلم أعمالك عليك وتأثر إيجابياً في نفسك وفي نفوس الآخرين على حد سواء..

يمكن أن يقيّم الإنسان بشكل موضوعي نتائج أعماله؟

أن كل عمل أو قول أو مسلك يقوم به المرء ولا يشعر بعده براحة، هو عمل سلبي. إذ إن السلبية تطبع نفسها في الداخل قبل أن تنعكس خارجاً، وعندما يصل تأثيرها السلبي إلى الشخص الآخر تعود ويرتد مفعولها السلبي مضاعفاً في النفس.

ويكشف أيضاً الدكتور جوزيف مجدلاني، أنه "كلما فكر النساء إليه بالإساءة تلك، أو بالألم الذي سببته في نفسه، تكاثر تلقائياً الضباب أو الغشاوة أو التكتف الذبذبي السلبي في نفس المسيء وخديداً على تخوم الذات الإنسانية مما يؤدي إلى انسدادات ذبذبية باطنية في النفس تقطع عنها نور الذات وصوتها- أي صوت الضمير وهذا ما يؤسس إذا ما تفاقم العمل السلبي، إلى أمراض نفسية وبالتالي جسدية.."

فلو راقب المرء الصادق نفسه ومقدرتها على وعي نتائج أعماله، وهذا ما يختبره الطلاب الملتزمين بتطبيق علوم الايزوتيريك منهجاً حياً، لوجد إن في ظل الصدق الفاعل والوعي المتفتح، يقوى المنبه الداخلي أو sensor الذي ينبه المرء على وجود خلل ما في تصرفاته.. فتصبح قوة مبدأ "فعل الخير" والتصرف الإيجابي وإصرار المرء على تعميقه وتطويره في حياته، "بوصلة" النفس في خضم التجربة العملية..

هذه البوصلة هي حال لسان الذات أو "المعلم الداخلي" بمعنى آخر حال لسان الوعي الباطني الذي هو نور الصدق والناطق باسم الحقيقة كما أوضح الدكتور مجدلاني: "أن حضور الذات بالنسبة للنفس في هذه الحالات يقوى ويعمق.. فيصبح هذا الحضور هو ما ينبّه ويحذر وأيضاً يهتئ المرء بحسب نتائج أعماله.. وهكذا تحصد ثمار الأفعال وبسرعة.. ناهيك عن ردات فعل متعاقبة قد يستوجبها الفعل.."

قد يتساءل البعض عن دور النسبية في تقييم أي عمل وفي استشفاف تأثيره في النفس؟! أي بمعنى معادلة النجاح / الفشل؟! إن إرادة النفس الصادقة ومحبتها العملية في

كلما ارتقى المرء في فهم نفسه وتسامت مسؤولياته واتسع مداها، ترتقي أفعاله وتتسارع نتائج أعماله وتتضاعف.. ولعل من أهم ما قد يختبره المرء المتعمق في ممارسة العلوم الإنسانية - علوم الايزوتيريك مسلكاً حياً حقيقة أن التجربة نفسها لا تتكرر في حياته، وأن التاريخ لا يعيد نفسه، وإن بدا عكس ذلك ظاهرياً.. فتجربة النفس تختلف بحسب اختلاف معطيات الوعي فيها.. وتحديدًا ترتبط بمدى اختلاف نضج الوعي فيها.. فإن بدا "الظرف" أو "التجربة" ماثلة لما سبقها يبقى مستوى تفاعل المرء المختمر نضجاً على المعرفة هو العامل المتغير والمتحول والمتحرك الذي يجعل منها تجربة جديدة متجددة بحد ذاتها..

ولعل التجارب الأهم والأعمق تأثيراً في نفس كل بشري هي تلك التي يخوضها "على حد السيف" (On razor's edge)، أي تلك التي تشكل مفارق طرق في حياة المرء. ناهيك عن أن هذه التجارب تتطلب مواقف وقرارات وحسماً وحزماً وتنفيذ سريع لا يعرف تردداً أو تباطؤاً أو تذبذباً بين السلبي والإيجابي.. هذه التجارب إن نجح المرء في خوضها ارتقى وارتفع إلى ما لا يخطر في باله.. وإن فشل تفهقر وتدحرج في عمقٍ وادٍ يكاد أن يكون بلا قعر يرحى..

أن هذه التجارب هي الأشد وقعاً وتأثيراً في نفس الإنسان، إيجاباً أم سلباً لا فرق.. أما نتائجها فتؤسس لمستويات تذبذب داخلية وحالات نفسية سريعة وجارٍ حياتية لو وعها المرء مسبقاً لجنب نفسه الكثير من المناهات الفكرية والنفسية. ناهيك عن إضاعة الوقت والمجهود في حال كان العمل سلبياً أو ناقصاً.. يقابلها، في حال كان العمل إيجابياً الاستفادة العملية السريعة من زخم جديد وقوة عزيمة ومقدرة أقوى على المتابعة والمواجهة والتحقيق.

كيف نفهم نتيجة الأعمال؟

ولن يسأل في هذا السياق "كيف يتم عملياً وعي أو استيعاب نتيجة العمل أو الفعل؟! وكيف